

علاقة مفهوم قابلية العيش في المدن بمفهوم جودة الحياة والاستدامة الحضرية

أ.م.د. نادية عبد المجيد السلام

الباحثة: نور عدنان صالح

مركز التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا/ جامعة بغداد

المقدمة:

إنَّ التحضر والتطور السريع الذي يجري في مدن العالم والزيادة السكانية والآثار السلبية المصاحبة لهذه الزيادة أدت الى ظهور مفهوم قابلية العيش في المدن وزيادة الاهتمام به كونه يوفر حلولاً للعديد من المشاكل ولا يوجد اجماع حول تعريف محدد للمفهوم مما ادى الى تداخله مع مفاهيم اخرى تشترك في اهداف ظهورها مع مفهوم قابلية العيش (حل مشاكل المدن) ومن أكثر المفاهيم تداخلا مع مفهوم قابلية العيش هما مفهومي جودة الحياة الحضرية والاستدامة الحضرية ويتناول البحث دراسة العلاقة بين مفهوم قابلية العيش ومفهوم جودة من جهة ومفهوم قابلية العيش والاستدامة من جهة اخرى للوصول الى فهم واضح للمفاهيم الثلاثة واختلافها عن بعضها .

مشكلة البحث: التداخل بين مفهوم قابلية العيش في المدن مع كل من مفهومي جودة الحياة والاستدامة الحضرية

هدف البحث: الوصول الى فهم واضح لمفهوم قابلية العيش في المدن واختلافه عن كل من مفهومي جودة الحياة والاستدامة الحضرية.

فرضية البحث: التقاء مفهوم قابلية العيش مع مفهوم جودة الحياة في البعد الموضوعي لكل منهما في حين يلتقي مع مفهوم الاستدامة في اهداف كل منهما ولكن على مستويات مختلفة.

منهجية البحث: استخدام المنهج الوصفي والتحليلي لمفهوم قابلية العيش وجودة الحياة والاستدامة الحضرية .

المبحث الاول: التعريف بمفهوم قابلية العيش وجودة الحياة والاستدامة الحضرية:

١,١ مفهوم قابلية العيش في المدن:

قابلية العيش هو مفهوم "قائم على المكان" الذي يشير الى تلك العناصر بدءاً من المنزل والحي الى المدينة التي تساهم في جودة الحياة والرفاه^(١). ان كلا من الاماكن والاشخاص هما وجهان لمفهوم قابلية العيش ولكن يشير المفهوم الى الاماكن اكثر من الاشخاص لأنه يتغير ويتحرك مع مرور الزمن^(٢) كما انه محصلة للعلاقة بين البيئة والحياة الاجتماعية و يهتم بالسماوات العمرانية لموقع معين، يركز مفهوم قابلية العيش على التجربة الذاتية للعيش في اماكن معينة وهذه التجربة تختلف عن تلك التي تستنتج من البيانات الكمية و خلاصة التحليلات الاقتصادية والسياسية فهو ما يجذب او يطرد الناس من مكان معين

(٣). بالتالي فهو يعني اشياء مختلفة لأناس مختلفين وان هذا البعد الذاتي قد يفسر جزئياً عدم وجود تعريف متفق عليه حول المفهوم في الادبيات (٤) .

توجد عدة مفاهيم تتداخل مع مفهوم قابلية العيش منها (جودة الحياة ومنظور ساكن المدينة والرضا وتقييم البيئة الحضرية والاستدامة) وهي تبحث في مواضيع (الصحة والسلامة والرفاه والبيئة العمرانية وغيرها) (٥)، من أكثر المفاهيم تداخلاً مع مفهوم قابلية العيش هما مفهومي الاستدامة وجودة الحياة فعلى سبيل المثال تركز الولايات المتحدة في مفهوم قابلية العيش على الرفاه الاجتماعي (٦) في حين تركز في المملكة المتحدة على البيئة (الانظف والاكثر اماناً والاكثر اخضراراً) (٧). ولمعرفة السبب حول عدم الاجماع على مفهوم قابلية العيش استخدمت منظمة (NARC^١) طريقتين للتحليل، وجدت في الاولى ان معظم التعاريف لقابلية العيش شملت النقل وجودة الحياة وأشارت الى ان كل العاملين في مجال قابلية العيش ركزوا على نفس المواضيع ولكن مع عدم وجود اجماع على تعريف واحد، اما الطريقة الثانية فقد قامت المنظمة بالبحث في قاعدة بيانات المجالات العلمية المنشورة بين عامي ١٩٧٦-٢٠١١ ووجدت ان مصطلح قابلية العيش موجود في ٨٠٠ بحث في مختلف المجالات وبعد عزل المجالات المتخصصة بالمجال الحيواني والنباتي والطبي وجدت ان ٧٠٧ مجلة ناقشت المفهوم ضمن المجالات التالية (التخطيط الحضري، الاسكان، النقل، التنمية المجتمعية، التنمية المستدامة، جودة الحياة، النمو الحضري، السياسة) (٨).

١,١,١ مبادئ مفهوم قابلية العيش في المدن:

يضم مفهوم قابلية العيش ستة مبادئ وهي تطوير خيارات نقل امنة وموثوق بها واقتصادية والحد من انبعاث الغازات الملوثة، توسيع خيارات السكن وتوفير المواقع للسكان ولكل الاعمار والاجناس والدخول وتخفيض التكلفة المشتركة للسكن واماكن العمل، تعزيز القدرة التنافسية من خلال سهولة الوصول وبالوقت المناسب لمراكز العمل والتعليم والخدمات الاساسية الاخرى، دعم المجتمعات القائمة من خلال التنمية الموجهة للعبور والاستعمال المختلط وكفاءة الاستثمارات العامة، تفعيل وتنسيق السياسات والاستثمارات من خلال ازالة العوائق التي تحول دون التعاون والتمويل وزيادة الفعالية لجميع مستويات الحكومة من اجل خطة النمو المستقبلية واتخاذ خيارات الطاقة الذكية مثل الطاقة المتجددة المولدة محلياً، جعل المجتمعات ذات قيمة من خلال تعزيز الخصائص الفريدة لكل المجتمعات من خلال الاستثمار في احياء صحية وامنة وقابلة للمشى (٩). ومن المدن التي استطاعت تحقيق مفهوم قابلية العيش هي مدينة اوستن حيث تتميز بوجود اقتصاد مرن وفرص عمل جيدة وبيئة طبيعية صالحة للعيش اضافة الى الجوانب الثقافية والفنون والمسرح وهي جاذبة للسكان حيث تستقبل اكثر من مليون زائر والالاف السكان سنوياً (١٠). وتسعى مدينة اوستن لتكون مدينة متكاملة "Complete Communities" في رؤيتها لعام

٢٠٣٩ وهذه المجتمعات هي مجتمعات امنة ولها القدرة على تحمل التكاليف وكما توفر سهولة الوصول للخدمات وتحافظ على شخصية اوستن الفريدة وتحافظ على الطابع التاريخي وعلى التنوع في نمط الحياة (سواء اكانت حياة حضرية او ضواحي او شبه ريفية)^(١١).

اما مدينة دبي فهي واحدة من عدة مدن شهدت تحسن في مستوى قابلية العيش لديها عام ٢٠١٦ ، ركزت المدينة في خطتها لعام ٢٠٢١ على ستة محاور رئيسية تصف من خلالها المدينة في الوقت الحالي وتسعى الى تعزيز هذه المحاور والحفاظ عليها في المستقبل وهذه المحاور هي (الافراد، المجتمع، التجربة المعيشية، المكان، الاقتصاد والحكومة) وتتميز مدينة دبي بنمو اقتصادي مستدام وتجربة معيشية متميزة حيث تتمتع بمستوى عال من الخدمات التعليمية والصحية والاسكان بما يلبي حاجات المجتمع وهي مدينة حيوية ونشطة وتمتلك جوانب ثقافية وترفيهية ، وبمجتمع متنوع يمتلك قيم انسانية وهي مدينة ذكية ومستدامة لها بنية تحتية بجودة عالية ولها قدرة مستدامة على مواكبة نمو المدينة كما ان مواردها مستدامة على المدى الطويل وهي تستخدم مصادر بديلة لا نتاج الطاقة وتوفر بيئة نظيفة وصحية وامنة ولها القدرة على مواجهة الكوارث والازمات^(١٢) .

٢,١ مفهوم جودة الحياة الحضرية:

بدأ الاهتمام بمفهوم جودة الحياة منذ عقد الستينات حيث كان جزء من الدراسات العلمية للبحث في المؤشرات الاجتماعية وشملت تركيزاً واضحاً على قياس الرفاه الشخصي والاجتماعي ،ظهر خطين مختلفين من الاستراتيجيات من (حركة المؤشرات الاجتماعية) ركز احدهما على الرفاه الشخصي بينما ركز الاخر على جودة الحياة الحضرية^(١٣). شهد عقد السبعينات اهتمام الرأي العام في المناقشات السياسية حول "ان الكثير يجب ان يساوي دائماً الافضل " وظهر مفهوم جودة الحياة كبديل عن الكثير ،لكنه كان اكثر تعقيداً. حيث اعلن الرئيس الامريكى ليندون جونسون في بداية عام ١٩٦٤ ان "المجتمع العظيم هو الذي لا يهتم بالمقدار ولكن بمدى كونه جيد ،ليس بالكمية ولكن بجودة الحياة " ^(١٤) .

ظهر المفهوم كفرع اكايمي في حد ذاته في السبعينات مع صدور المجلة العلمية عام ١٩٧٤ "ابحاث المؤشرات الاجتماعية "ومنذ ذلك الحين زاد الاهتمام بموضوع جودة الحياة والرفاه الاجتماعي وفي عام ١٩٨٥ ظهر اكثر من ٢٠٩٠٠ مقالة أكاديمية تحتوي على مصطلح "جودة الحياة"^(١٥).

وفي الثمانينات اصبح الاهتمام متزايداً بمفهوم جودة الحياة^(١٦) وخلال سلسلة من المؤتمرات التي عقدت في الفترة ما بين ١٩٩١ و ١٩٩٢ في جنيف لتطوير جودة الحياة والذي عقد برعاية منظمة الصحة العالمية تم اعتماد تعريف المنظمة والذي ينص "جودة الحياة هي تصور الفرد لحياته في سياق النظم الثقافية والقيمية التي يعيش فيها والمتعلقة بالأهداف،التصورات،المعايير والمخاوف " ^(١٧) . يشير مفهوم جودة الحياة الى الطابع المرضي او الجيد لحياة السكان^(١٨) كما يعرف على انه الخصائص المشتركة لتجربة

السكان في المكان على سبيل المثال (نوعية المياه ،حركة المرور ،فرص الترفيه) وتقييمهم الذاتي لهذه الظروف^(١٦).

كان المفهوم في البداية يطبق في مجال الصحة البدنية والبيئية وبعد ذلك في مجال الصحة النفسية والخدمات الاجتماعية لذا فإن مفهوم جودة الحياة يشير الى الرفاه النفسي والاجتماعي - الاقتصادي والى التقييم وكلاهما يكون في العوامل الشخصية (الصحة ،الرضا عن الحياة والاستقلالية ..) وفي البيئة الاجتماعية (شبكات الدعم والخدمات الاجتماعية)^(١٩). استنادا الى الادبيات فإن هناك ثلاثة انواع رئيسية من التعريفات الخاصة بجودة الحياة وهي اولاً تعريفات عامة او عالمية ثانياً تعريفات تجزئ المفهوم الى سلسلة من المكونات والابعاد ثالثاً تعريفات تركز على واحد او اثنين من المكونات كما يوجد نوع رابع يدمج بين النوعين الاول والثاني حيث انها تعريفات عالمية ولكنها تحدد المكونات ايضا وكما في الجدول التالي^(٢٠)

جدول (١) التعريفات الخاصة بجودة الحياة

النوع	اسم النوع	الوصف
الاول	التعريفات العالمية	هي اكثر التعريفات شيوعا ولا تنطبق الى المكونات وتتضمن افكار حول الرضا/عدم الرضا و السعادة /عدم السعادة
الثاني	تعريفات المكونات	وهي تعريفات تقسم المفهوم الى سلسلة من الاجزاء والمكونات والمجالات وتحدد الخصائص التي تعتبر اساسية لتقييم جودة الحياة
الثاني ا	في البحوث غير المحددة	هي تعريفات تحدد عدد من ابعاد جودة الحياة ولكن ليس بالضرورة جميع الابعاد
الثاني ب	في البحوث المحددة	وهي تعريفات تتجاهل او تستثني بعض الابعاد التي تعتبر

قليلة الصلة بأهداف البحث		
التي تشير الى بعد واحد فقط او عدد قليل من الابعاد	التعريفات المركزة	الثالث
التي تركز على عدد قليل من الابعاد والتي تعبر اساسية ولكن بشكل واضح وصريح	التعريفات الواضحة	الثالث ا
تركز على بعد او بعدين ولكن بصورة ضمنية دون ان يكون ذلك واضحا	التعريفات الضمنية	الثالث ب
تجمع بين النوع الاول والثاني	التعريفات المختلطة	الرابع

كما ان مفهوم جودة الحياة متعدد الابعاد وقد تم اقتراح ثلاثة ابعاد له وهي :

- الحالة البدنية -الصحية.
 - الكفاءة الذاتية والاتقان الذاتي والرضا والسعادة وتقدير الذات والمعتقدات والتطلعات والمقارنات الاجتماعية.
 - البعد الاجتماعي ويضم نوعين : الاول البعد الاجتماعي الخاص ويشمل الشبكات الاجتماعية والدعم الاجتماعي ومستوى التعليم اما الثاني فهو البعد الاجتماعي العام ويشمل نوعية السكن والتلوث والبيئة الجمالية وغيرها.
- تتفاعل هذه الابعاد الثلاثة مع بعضها البعض وان اي تغيير في أحدها يؤثر على البقية فعلى سبيل المثال وجدت الدراسات ان التفاعلات الاجتماعية تؤدي الى تحسين احترام الذات وتحسين الكفاءة الاجتماعية والشخصية، وازافة الى هذه الابعاد فقد اتفق العلماء على ان المفهوم يضم عنصرين هما الموضوعي والذاتي^(٢١).

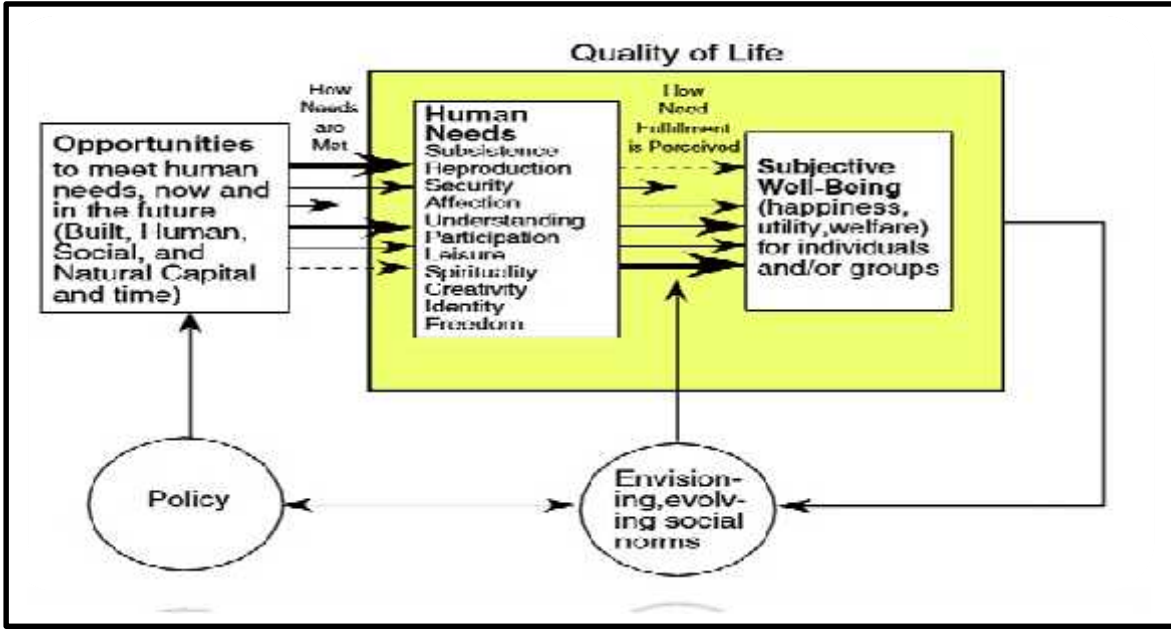
١,٢,١ الموضوعية والذاتية في مفهوم جودة الحياة:

هناك اتفاق عام من قبل العديد من العلماء الباحثين في مجال جودة الحياة على وجود بعدين مرتبطين بالمفهوم وهما بعد نفسي واخر بيئي .فلتحديد جودة الحياة هناك مجموعتان اساسيتان من المكونات

والعمليات، الأولى ترتبط بالية نفسية داخلية تنتج احساس بالرضا عن الحياة والثانية هي الظروف الخارجية التي تؤدي الى نشوء تلك الالية الداخلية وفيما يتعلق بالبعد الاول فقد استخدمت مصطلحات مثل جودة الحياة الشخصية/ الفردية والرفاه والرضا عن الحياة ،اما البعد الثاني فاستخدمت مصطلحات مثل جودة المجتمعات الحضرية وجودة المكان وغيرها .ومن المهم الجمع بين البعدين لتقديم صورة كاملة عن جودة حياة الشخص او المكان .بالتالي فإن المفهوم يعتمد على حقائق خارجية (موضوعية) لحياته وعلى تصوراته الذاتية حول هذه العوامل وحول نفسه (ذاتية)^(٢٢).

يتضمن الجانب الموضوعي اشياء ملموسة مثل العمالة وملكية المنزل ومستوى التعليم والبيئة الاجتماعية للشخص^(٢٣). معدل البطالة ومعدل الفقر وساعات العمل في الاسبوع ومعدل الولادات والوفيات^(٢٤). اما الجانب الذاتي فيقوم على الرفاه والذي يجب ان ينظر اليه من قبل المواطنين أنفسهم لان الحكم من قبلهم يكون أفضل^(٢٥). بالتالي تعرف جودة الحياة على انها مدى تحقق حاجات الانسان الموضوعية المرتبطة بتصورات الفرد والجماعة عن الرفاه الذاتي. كما ان جودة الحياة هي تفاعل بين الحاجات الانسانية والتصورات الذاتية حول تحقيقها والفرص المتاحة لتلبية هذه الاحتياجات كما في (الشكل ١)^(٢٦).

ان قدرة البشر على تلبية احتياجاتهم الاساسية تأتي من الفرص المتاحة كما ان السياسة والثقافة تساعد في تخصيص انواع من رأس المال كوسيلة لتوفير هذه الفرص. توجد اربعة انواع من رأس المال هي (الاجتماعي ،المصنع ،الطبيعي ،البشري) ان رأس المال المصنّع مثل (السلع المصنعة والآلات والمعدات والمباني) ورأس المال الطبيعي اساسيان لتلبية احتياجات الانسان للبقاء فالأول يوفر على سبيل المثال (المأوى) اما الثاني يوفر (الهواء والماء النظيفين) وان رأس المال الاجتماعي والبشري مهم لتوفير الرعاية الصحية كما ان الحاجة للمشاركة في الحياة يوفرها رأس المال الاجتماعي والحاجة للمواهب يوفرها رأس المال البشري ، بالتالي فإن رؤوس الاموال هذه تساعد في توجيه عملية صنع القرارات والسياسات فيما يخص تلبية حاجات الانسان وبصورة اكثر كفاءة^(٢٧). بالتالي فإن مصطلح جودة الحياة هو نتيجة للعلاقة بين الظروف الموضوعية لحياة الانسان وتصوره الذاتي عن الموضوع^(٢٨).



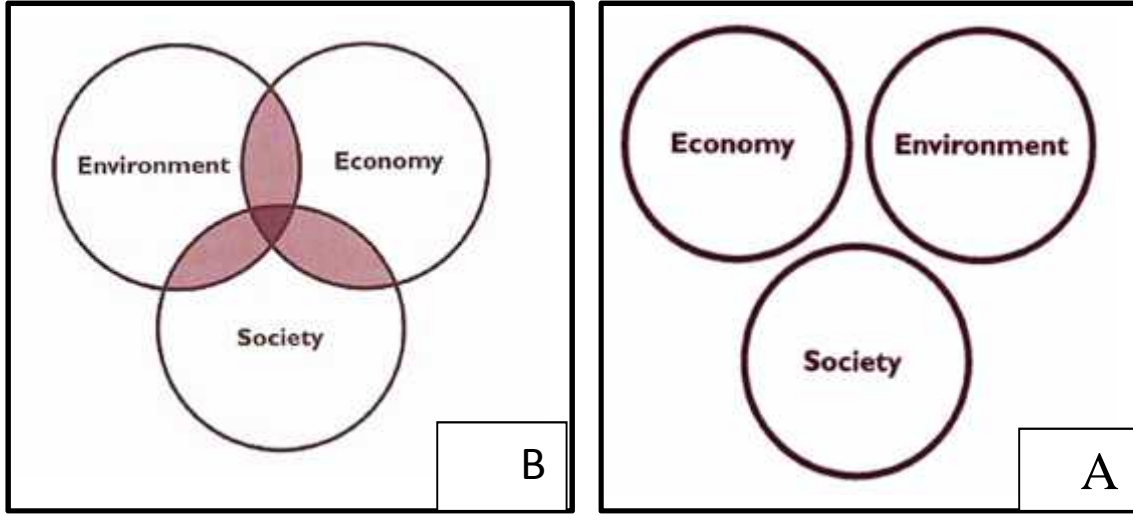
الشكل (١) يوضح ان جودة الحياة هي تفاعل بين الحاجات الانسانية والتصور الذاتي حول تحقيقها والفرص المتاحة لتلبية الاحتياجات (٢٩)

يتبين مما سبق ان مفهوم جودة الحياة هو ناتج عن تفاعل بعدين هما البعد الموضوعي والذاتي فالأول يكون حول الظروف الخارجية او البيئة الاجتماعية للفرد مثل معدل الجريمة او مستوى التعليم او الدخل اما البعد الثاني فهو الانطباع الداخلي للفرد حول نفسه ومدى احساسه بالرضا او السعادة او تقديره لذاته. ٣,١ مفهوم الاستدامة الحضرية:

ظهر مفهوم الاستدامة بمعناه الحديث في اوائل التسعينات وكان استجابة لتزايد الفهم حول الممارسات الحديثة للتنمية التي تقود الى ازمات بيئية واجتماعية على الصعيد العالمي. ان الفعل "sustain" يأتي من جذور لاتينية "sub + tenere" وهي بمعنى الدعم او الحفاظ عليه (٣٠). تستند الاستدامة على فرضية بسيطة وواقعية ومعترف بها وهي: ان كل ما يحتاجه البشر للبقاء والعيش برفاهية يعتمد بصورة مباشرة او غير مباشرة على البيئة الطبيعية والتي هي مصدر للموارد المتجددة وغير المتجددة التي تعتمد عليها الحضارة (٣١).

ولقد تم تعريف التنمية المستدامة من قبل لجنة الامم المتحدة (بروند تالاند ١٩٨٧) "هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الاجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة" وهذا التعريف يضم مفهومين اساسيين الاول "Needs" الاحتياجات ولاسيما للفقراء في العالم والتي يجب ان تعطى اولوية كبيرة والثاني "Limitation" القيود التي تفرضها التكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي على قدرة البيئة لتلبية الاحتياجات الحالية والمستقبلية (٣٢).

ان مناقشات التنمية المستدامة غالبا ما يتم التركيز فيها على كيفية تلبية الاهداف الاقتصادية والبيئية والعدالة الاجتماعية في وقت واحد وعادة ما يشار اليها بـ "Three Es" (Economic, Environment, Equity) في الماضي كان يتم الفصل بين هذه الاهداف الثلاثة في عملية التخطيط وعمليات صنع القرار الحكومي كما في (الشكل ٢) ان هذه الاهداف الثلاثة تمثل نقطة انطلاق للتنمية المستدامة. وقد استخدمت في العديد من المنظمات مثل جمعية التخطيط الاقليمي في نيويورك وفي نيوجرسي (٣٣).



الشكل (٢): (A) يوضح اهداف الاستدامة ، (B) يوضح التكامل بين اهداف الاستدامة الثلاثة (٣٤) كمثال وضعت استراتيجية للتنمية الاقليمية في مقاطعة Zhengbian في الصين لتوجيه التحضر السريع في المنطقة من ٢٠١٠ - ٢٠٢٠ حيث تم اعتماد استراتيجيات تخطيط شاملة تعكس اهداف الاستدامة وتقليل الكربون وادارة النفايات والنقل الاخضر ومعالجة القضايا المتعلقة بتغير المناخ (٣٥). كذلك مشروع ميناء زايد (وهو ضمن مشاريع التميز ٢٠٠٨ المقدمة لمجلس ابوظبي للتخطيط العمراني) حيث ان فكرة المشروع هي بناء مدينة سكنية متكاملة تابعة لمدينة ابو ظبي تراعى فيها مبادئ الاستدامة ويهدف المشروع الى تقليل الاعتماد على السيارة وتشجيع الوسائل البديلة كما ان المدينة يسكنها مزيج متنوع من السكان لذلك فهي تقدم مجموعة واسعة من الانشطة والخدمات الثقافية والاجتماعية وهناك عدة استراتيجيات يستخدمها المشروع لتحقيق مبادئ الاستدامة منها ادخال النظم الطبيعية لمجموعة من المساحات المفتوحة من ضمنها مواقف السيارات وتقليل استهلاك الطاقة عن طريق تخطيط الشوارع بطريقة تساعد على تبريد الابنية، اضافة الى السطوح الخضراء التي يتم تصميمها لنقل من امتصاص الحرارة داخل المباني (٣٦).

ومن الامثلة الاخرى مدينة كوريتيبا في البرازيل التي تتميز بالعديد من انجازات الاستدامة ويمكن تصنيفها الى سته مواضيع متكاملة وهي التخطيط الحضري المتكامل ونظام النقل الفعال وتعزيز المشي والوعي

البيئي والعدالة الاجتماعية وإدارة النفايات ، وفازت المدينة عام ٢٠١٠ بـ "Globe Sustainable City Award"، تتميز المدينة بنظام النقل العام الذي يقوم على الحافلات وتم اختيار نظام الحافلات بسبب تكاليفه المنخفضة، وبين عامي ١٩٧٤-١٩٨٢ تم توسيع نظام النقل بالحافلات من مسارين للحافلات السريعة الى خمسة محاور اضافة الى وجود خطوط الحافلات بين المناطق كما في (الشكل ٣) ويتكون نظام الحافلات من ثلاثة انواع من الحافلات وهي (الحافلات السريعة والحافلات بين المناطق والحافلات التقليدية) وفي الثمانينات تم انشاء شبكة نقل متكاملة (مما يسمح بالوصول لأي نقطة من المدينة عن طريق دفع اجرة واحدة) ويستخدم هذا النظام ٨٥% من سكان المدينة، وقد تضاعف عدد السكان منذ عام ١٩٧٤ وبالمقابل انخفضت حركة السيارات بنسبة ٣٠% مما ادى الى تقليل استخدام الوقود وتقليل تلوث الهواء^(٣٧).

بالتالي فإن الاستدامة تعني تكامل الاهداف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية من اجل تلبية الحاجات الحالية والمستقبلية للسكان.



الشكل (٣): (A) يوضح محاور النقل الخمسة في مدينة كوريتيبيا موضحة باللون الاحمر^(٣٧)، (B) صورة توضح مسار ومحطات وقوف الحافلات في مدينة كوريتيبيا^(٣٨)

المبحث الثاني: علاقة مفهوم قابلية العيش بمفهوم جودة الحياة والاستدامة الحضرية:

كما تم ذكره سابقا فان مفهوم قابلية العيش يتداخل مع عدة مفاهيم ومنها مفهوم جودة الحياة. إن جودة الحياة تأتي احيانا بمعنى " قابلية العيش " كما أن هناك ثلاث اهتمامات رئيسية للمجتمعات القابلة للعيش وهذه الاهتمامات الثلاثة لها اهمية كبيرة في قياس جودة الحياة وهي تكون قابلية العيش بالنسبة:

• لرجال الاعمال على اساس المواقع الجديدة المتوقعة .

• للحكومات تكون على اساس جذب الشركات .

• للسياسة المحلية فتكون على اساس مدى تحقيق جودة حياة المجتمعات (٣٩) .

كما يمكن ان تترجم جودة الحياة الى قابلية العيش في المكان وهذا يعني ان المجتمع الحضري ونوعية الحياة تتعلق بالتجربة العامة لسكان الحضر حول البيئة الحضرية وقدرة المكان على تلبية الاحتياجات كما ان وجهة نظر السكان حول بيئتهم قد تختلف باختلاف خلفياتهم الثقافية (١٨). غالبا ما يستخدم المصطلحين (قابلية العيش وجودة الحياة) بصورة متبادلة في مجال التخطيط الحضري، والفرق يكمن في كون قابلية العيش تكون في وجود ونوعية وسائل الراحة في البيئات المبنية والطبيعية، اما تجربة المستخدم لهذه الوسائل والفوائد الصحية المرتبطة بها فهي جودة الحياة والجدول التالي يوضح امثلة لعوامل قابلية العيش في المجتمع وفوائد جودة الحياة المرتبطة بها(٤٠).

الجدول (٢) يوضح عوامل قابلية العيش وفوائد جودة الحياة المرتبطة بها (٤٠)

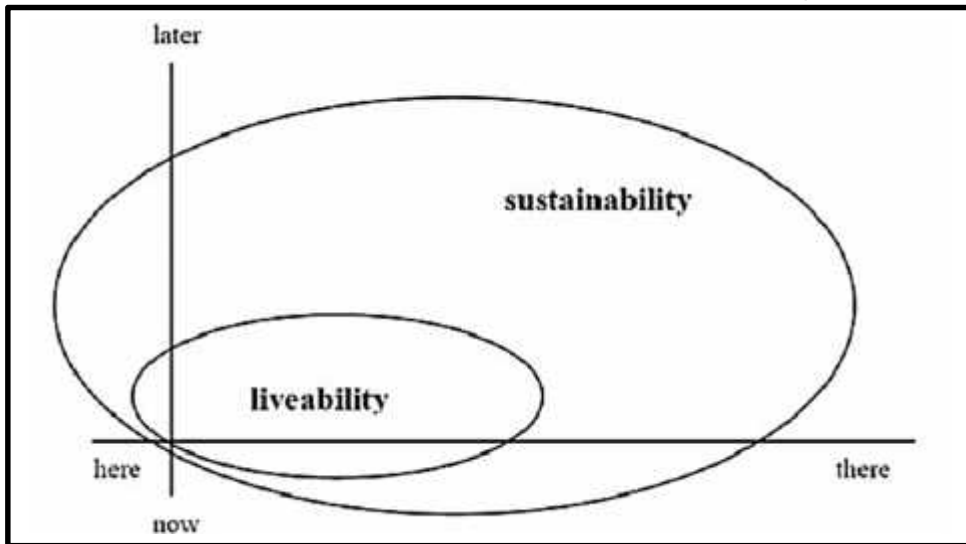
عوامل قابلية العيش	فوائد جودة الحياة المرتبطة بها
توفير فرص عمل والخدمات العامة	الدخل المتاح والترفيه
انواع مختلفة من المساكن وبأسعار مقفولة	توفير المأوى والامن والامان
نوعية الهواء والمياه وتوفر المساحات المفتوحة والمتنزهات	الصحة البدنية والحماية من مخاطر الطبيعة
توفر وسائل نقل متعددة وشبكة مترابطة وسهولة الوصول لاماكن العمل والخدمات والمساكن	اوقات سفر مقفولة وموثوق بها والصحة البدنية
التوزيع العادل لوسائل الراحة	الاحساس بالعدالة الاجتماعية
تماسك المجتمع والموارد التاريخية والثقافية والفرص التعليمية	الاحساس بالمكان والشعور بالانتماء ورأس المال الاجتماعي

على سبيل المثال تهتم قابلية العيش بتوفير خيارات نقل متعددة للسكان في حين جودة الحياة تشير الى الفوائد الصحية المرتبطة بها، بعبارة اخرى ان قابلية العيش تشير الى الخدمات التي تقدم للمجتمع في حين تشير جودة الحياة الى امكانية هذه الوسائل في ان تفيد التجربة الانسانية (٤٠).

اما فيما يخص علاقة مفهوم قابلية العيش بالاستدامة الحضرية ان مبادرات كلا من الاستدامة وقابلية العيش تلتقي في نفس الاهداف (الاقتصادية والبيئية والعدالة الاجتماعية) لذلك تتداخل تعاريفها بصورة ملحوظة (٤١). كما ان دمج هذه الابعاد الثلاثة "Three Es" هو لمواجهة تحديات قابلية العيش في المدن حيث قام صناع السياسة الحضرية في المدن الاسيوية بالبحث عن حلول في مجال التخطيط الحضري الشامل والموحد لان المبادرات الخاصة بكل قطاع غير كافية لمواجهة مشاكل المنطقة الحضرية نتيجة الهجرة كما ايدت العديد من المنظمات والحكومات المنهج الموحد في تخطيط استعمالات الارض والنقل والطاقة وان تدار بطريقة امنة لتحقيق الاهداف الاجتماعية والاقتصادية للمدينة (٤٢).

ان اغلب مبادرات قابلية العيش تكون من النقاء هذه الابعاد الثلاثة فعلى سبيل المثال ان تطوير السكن اللائق وبأسعار معقولة وقريب من مركز المدينة يؤثر على البيئة حيث يقلل من الاعتماد على السيارة وبالتالي تقليل التلوث ومن الناحية الاقتصادية فإنه يوفر سوق للشركات المحلية والحد من الازدحام على الطرق ومن ناحية العدالة الاجتماعية فإنه يوفر خيارات سكن لذوي الدخل المحدود او المتوسط (٤٣) .

على الرغم من وجود التشابه بين المفهومين الا ان هناك اختلافات عديدة بينهما حيث اشارت (Lee-Ann Garnett) وهي مخطط اول في وكالة التخطيط الاقليمي في فانكوفر الكندية (GVRD) الى " ان كلاً من المصطلحين قابلية العيش والاستدامة لا يمكن ان يكون قابل للتبادل ، حيث ان الاستدامة هي اكثر شمولاً، وغالباً فأن قابلية العيش هي فرع من الاستدامة فعلى سبيل المثال يمكن للمكان ان يكون قابل للعيش وبصورة كبيرة مالم تستنزف موارده ،وهذا مخالف لمبادئ الاستدامة " (٤٤) و (الشكل ٤) يوضح ان مفهوم قابلية العيش هو مجموعة فرعية من الاستدامة حيث يركز المفهوم على "هنا " و"الآن" اي يركز على الظروف الحالية والملموسة بالتالي تفسر على انها قابلة للتحقيق اكثر. كما ظهر ما يسمى بـ"قابلية العيش المستدام" اي ان المكان لابد ان يكون ملائم للعيش ليس في الوقت الحاضر فحسب بل وعلى المدى الطويل ايضا (٤٥). إن مفهوم قابلية العيش تناول التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية ومدى التعرض للتلوث على مستوى المحلي كما ان المفهوم هو اقل تركيزاً على الاهداف البيئية الكبيرة ويقدم استراتيجيات أكثر تفصيلاً لتحسين خيارات النقل وسهولة الوصول كما انه يركز على خبرة الانسان والمجتمع في مكان معين. اما الاستدامة فأنها تركز على احتياجات الحاضر ودعم الاجيال القادمة وتتضمن اهداف بيئية كبيرة مثل الحد من اثار تغير المناخ وزيادة كفاءة استخدام الطاقة، كما وتهتم بكيفية الحفاظ على المجتمع دون الحاق الضرر بالبيئة (٤٨).



الشكل ٤ يوضح العلاقة بين مفهوم قابلية العيش ومفهوم الاستدامة (٤٥)

وفي دراسة اجريت لمعرفة العلاقة بين مفهومي قابلية العيش والاستدامة اقترح الباحث فيها اطار عمل يمكن من خلاله النظر في هذه المفاهيم وذلك من خلال ثلاثة مبادئ هي (المقياس والسياق والامكانيات) (كما في الجدول ٣) ،المقياس هو اقوى مبدأ تحليلي يوضح العلاقة بين المفهومين ،ان تعريف الاستدامة "تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الاجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها " يشير الى المستوى كلي او عالمي وعلى مدى طويل جداً وعلى العكس من ذلك فإن مفهوم قابلية العيش يهتم بالقضايا الاقتصادية والبيئية والاجتماعية ولكن على نطاق مكاني اضيق ،على مستوى الناس والاسر والمجتمعات المحلية^(٤٦). السياق هو مبدأ اخر يكشف الروابط والاختلافات بين المفهومين وقدرة كل منهما على التكيف مع الظروف المتغيرة وتفضيلات السكان حيث ان للاستدامة رؤية ثابتة عن القيم البيئية والاقتصادية والاجتماعية وهي توازن بين هذه القضايا على المدى الطويل ولا يوجد دور مباشر لأصحاب المصلحة اما قابلية العيش فهو مفهوم سلس يتغير وفق ظروف السياق وقيم المجتمع ويعطي اهمية لأصحاب المصلحة. اما الامكانيات فهو المبدأ الثالث وهو القدرة على التغير مع التدخلات حيث يتيح اعادة ادخال مفهوم قابلية العيش في التخطيط الحضري الفرصة لتحسين الصلة بالسياسة العامة وخلافا لرؤى الاستدامة فإن تنفيذ تفضيلات قابلية العيش (الاحياء القابلة للمشى والاماكن العامة الامنة) تقع ضمن اختصاص الوكالات العامة والمخططين المحليين الذين يمكنهم تشكيل "البيئة التي تتجلى فيها احتياجات السكان وتطلعاتهم وبالتالي تظهر امكانية اعلى للتغيير"^(٤٧).

جدول ٣ يبين الاختلافات بين مفهومي قابلية العيش والاستدامة (٤٦)

مفهوم قابلية العيش	مفهوم الاستدامة	
<ul style="list-style-type: none"> • يكون على مستوى محلي او منطقة محددة ويعطي اولوية للأنشطة المحلية • يشجع على تغيير السلوك على مستوى جزئي • له تأثير مباشر وآني على الناس والاحياء والمدن 	<ul style="list-style-type: none"> • يكون على مستوى عالمي ويعطي اولوية للأنشطة العالمية • يكون على مستوى كلي • طويل الامد وتأثيره غير مباشر 	المقياس
<ul style="list-style-type: none"> • الاهتمام بالقيم المحلية • ديناميكي ويسمح بالتغييرات مع مرور الزمن • يتم تحديد اصحاب المصلحة بوضوح 	<ul style="list-style-type: none"> • تبني قيم عالمية والتوفيق بين القيم الاقتصادية والاجتماعية والبيئية • تحتفظ برؤية ثابتة • مسؤوليات اصحاب المصلحة غير واضحة 	السياق
<ul style="list-style-type: none"> • تقبل تدخلات التخطيط والتصميم وتستجيب للعلاقة التبادلية بين الناس والمكان • تدعم التحسن التدريجي اي زيادة قابلية العيش في المكان 	<ul style="list-style-type: none"> • توجه عام وشامل • نهج شامل 	الامكانيات

جدول (٤) المقارنة بين مفاهيم (جودة الحياة والاستدامة وقابلية العيش)

مفهوم قابلية العيش	مفهوم الاستدامة	مفهوم جودة الحياة	
لا يوجد تعريف موحد او متفق عليه ومن تعريفاته " هو مفهوم قائم على المكان الذي يشير الى تلك العناصر بدءاً من المنزل والحي الى المدينة التي تساهم في جودة الحياة والرفاه"	ولقد تم تعريف التنمية المستدامة من قبل لجنة الامم المتحدة (بروند تلاند ١٩٨٧) "هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الاجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة"	لا يوجد تعريف ثابت او متفق عليه ومن تعريفاته " جودة الحياة هي تصور الفرد لحياته في سياق النظم الثقافية والقيمية التي يعيش فيها والمتعلقة بالأهداف،التصورات، المعايير والمخاوف	التعريف
مفهوم متعدد الابعاد ويلتقي مع ابعاد الاستدامة (البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي) ولكن على مستويات اقل واكثر تفصيلا .	يضم ثلاثة ابعاد هي البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والبعد البيئي	مفهوم متعدد الابعاد ومن ابعاده البعد الاجتماعي الخاص (مستوى التعليم) والعام (نوعية السكن) والبعد النفسي (الرضا عن الحياة واحترام الذات) البعد البيئي (ظروف البيئة المحيطة بالشخص)	الابعاد
يتم تقييم المفهوم من خلال المؤشرات الموضوعية اضافة الى بعد ذاتي في التقييم وهو التجربة الذاتية للسكان في المكان	يتم تقييم المفهوم من خلال مؤشرات موضوعية	يتم تقييم المفهوم بتفاعل المؤشرات الموضوعية والذاتية	التقييم

<p>المكان والانسان هما جانبي قابلية العيش ولكن المفهوم يركز على المكان اكثر من الانسان يركز المفهوم على الوقت الحاضر</p>	<p>يركز المفهوم على المكان أكثر يركز المفهوم على المستقبل</p>	<p>يركز المفهوم على الانسان اكثر من المكان يركز المفهوم على الوقت الحاضر</p>	<p>جوانب المفهوم</p>
--	---	--	----------------------

- اعداد الباحثين.

يتبين مما سبق ان مفهوم قابلية العيش يتداخل مع كلا المفهومين جودة الحياة والاستدامة الحضرية في جوانب معينة ويختلف في جوانب اخرى والجدول التالي يوضح أوجه التشابه والاختلاف بين المفاهيم الثلاثة وكما يأتي:

الاستنتاجات:

❖ يعد مفهوم قابلية العيش مفهوم قائم على المكان وعلى التجربة الشخصية للسكان في هذا المكان، حيث يختلف المفهوم من مكان لآخر فعلى سبيل المثال يرتبط مفهوم قابلية العيش بفكرة جودة الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية في حين يرتبط بفكرة الاستدامة في المملكة المتحدة. كما ان مفهوم قابلية العيش يكون جانبه الاكبر هو الجانب الموضوعي حيث يبحث في مدى كون المكان ملائم وصالح للعيش ويدخل الجانب الذاتي فيه عن طريق منظور ساكن المدينة عن قابلية العيش وفيما إذا كان المكان قابل للعيش بالنسبة للسكان بالتالي فأن المفهوم يركز على المكان أكثر من الانسان.

❖ يضم مفهوم جودة الحياة بعدين هما البعد الموضوعي والمتمثل بالظروف الخارجية المرتبطة بالفرد مثل مستوى تعليم الفرد او معدل البطالة او الدخل وغيرها والبعد الذاتي المتمثل بالفرد نفسه ومدى احساسه بالرضا وان كلا البعدين يتمحور حول الفرد نفسه بالتالي يركز مفهوم جودة الحياة على الانسان اكثر من المكان .

❖ ويحدث التداخل بين مفهوم قابلية العيش ومفهوم جودة الحياة في الجانب الموضوعي لكل منهما كون هذا الجانب يركز على البيئة المحيطة بالفرد .

❖ اما على مستوى العلاقة بين مفهوم قابلية العيش والاستدامة فهي ان كلا المفهومين (قابلية العيش والاستدامة) يهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية ولكن على مستويات مختلفة فالاستدامة تهتم بالأهداف الكبيرة وعلى مستوى عالمي في حين مفهوم قابلية العيش يركز على اهداف أكثر تفصيلا وعلى مستوى محلي فعلى سبيل المثال تتعلق الاهداف البيئية للاستدامة بتغيير المناخ والاثار الناتجة عنه اما

بالنسبة لمفهوم قابلية العيش فتتعلق بتوفير بيئة صحية كما ان مفهوم قابلية العيش يركز على الظروف الحالية في المكان ويستجيب للتدخلات والتغيرات التي تحدث اما الاستدامة فهي رؤية ثابتة وشاملة وعلى المدى الطويل.

الهوامش:

١ NARC: (National Association Regional Councils) وهي الجمعية الوطنية للمجالس الاقليمية، تعمل هذه المنظمة على خدمة المجتمعات الامريكية الحضرية والريفية وتعالج مجموعة متنوعة من المواضيع مثل النقل والتنمية الاقتصادية والمجتمعية والبيئية والامن الداخلي. المنظمة على خدمة المجتمعات الامريكية الحضرية والريفية وتعالج مجموعة متنوعة من المواضيع مثل النقل والتنمية الاقتصادية والمجتمعية والبيئية والامن الداخلي.

٢ حركة المؤشرات الاجتماعية: وهي حركة ظهرت في الستينات من القرن الماضي وتطورت في كل من الدول الإسكندنافية والولايات المتحدة وهي تستخدم لتقييم جودة الحياة في المجتمع ويمكن ان تعطي صورة واضحة عن الرفاه الفردي والاجتماعي .

المراجع:

- ١- Kallidaikurichi. S. & Yuen. B. , *Developing living cities*, Singapore: World Scientific. ٢٠١٠, p١٩١.
- ٢- National Research Council ,Community and Quality of Life data needs for informed decision making, National Academy Press, Washington, D.C., ٢٠٠٢ p١٩.
- ٣- Stephen M. Wheeler, *Livable Communities: Creating Safe and Livable Neighborhoods, Towns, and Regions in California*, University of California at Berkeley Institute of Urban and Regional Development, ٢٠٠١, p٩.
- ٤- Melanie Lowe, Carolyn Whitzman , Hannah Badland, Melanie, Davern, Dominique Hes, Lu Aye, Iain Butterworth, Billie Giles-Corti, *Liveable, healthy, sustainable: What are the key indicators for Melbourne neighborhoods? Research Paper ١, Place, Health and Liveability Research Program*, University of Melbourne, ٢٠١٣, p١١.
- ٥- Irene van Kampb, Kees Leidelmeijera, Gooitske Marsman, Augustinus de Hollander, *Urban environmental quality and human well-being Towards a conceptual framework and demarcation of concepts; a literature study*, *Landscape and Urban Planning* ٦٥ (٢٠٠٣), p٥.
- ٦- National Research Council, *Ibid*, p٢٥.
- ٧- Michael Parkinson ,etal, *State of the English Cities Office of the Deputy Prime Minister: London*, ٢٠٠٦, p١٥٦
- ٨- Erika Young& Valerie Hermanson, *Creating Livable Communities: an Implementation Guidebook*, The National Association of Regional Councils, Washington, ٢٠١٣, p٥.

- ٩- Meghan Z. Gough, Reconciling Livability and Sustainability: Conceptual and Practical Implications for Planning, Journal of Planning Education and Research, Vol. ٣٥(٢) ٢٠١٥, p١٥١.
- ١٠- Austin City Council, Imagine Austin Comprehensive plan, ٢٠١٢, p٣
- ١١- Austin City Council, Ibid, p٨٨
- ١٢- حكومة دبي، المجلس التنفيذي، خطة دبي ٢٠٢١، ٢٠١٤، ص ١٥، ١٣، ١١
- ١٣- Dowell Myers, Community-Relevant Measurement of Quality of Life A focus on Local Trends, Urban Affairs Quarterly, Vol. ٢٣ No. 1, ١٩٨٧, p١١٠.
- ١٤- Heinz-Herbert Noll, Social Indicators and Social Reporting the International Experience, Canadian Council on Social Development (ed.): Symposium on Measuring Wellbeing and Social Indicators. Final Report. Ottawa, ١٩٩٦, p٢.
- ١٥- Susan Galloway, David Bell, Christine Hamilton and Adrienne Scullion Quality of Life and Well-being: Measuring the Benefits of Culture and Sport: Literature Review and Thinkpiece, Scottish Executive Social Research ٢٠٠٥, p٧.
- ١٦- Dowell Myers, Ibid, p١٠٨.
- ١٧- Michael R. Hagerty, Robert A. Cummins, Abbott I. Ferriss, Kenneth land, Alex C. Michalos, Mark Peterson, Andrew Sharpe, Joseph Sirgy and Joachim Vogel, , Quality of Life Indexes for National policy: Review and Agenda for Research, Social Indicators Research(٥٥), ٢٠٠١, p١٤.
- ١٨- Sedigheh Lotfi, Amin Faraji, Husain Hataminejad and Ahmad Pourahmad, A Study of Urban Quality of Life in a Developing Country, Journal of Social Sciences ٧ (٢): ٢٣٢-٢٤٠, ٢٠١٠. p٢٣٣.
- ١٩- Pilar Escuder Mollón, Rosana Clemente Esteban, Raquel Flores Buils oger Esteller Curto, Evaluation toolkit on seniors education to improve their quality of life, Paper peresented in the ٤th World Conference on Education Sciences.. Barcelona. Published in Procedia-Social and Behavioral Science Journal by ELSEVIER, ٢٠١٢, p٣.
- ٢٠- Susan Galloway, David Bell, Christine Hamilton and Adrienne Scullion, Ibid, p١٣.
- ٢١- Swedish National Road and Transport Research Institute, State of the art report on Life Quality assessment in the field of transport and mobility, Sweden, ٢٠٠٣, p-p ٦-٧
- ٢٢- Bryan H. Massam ,Quality of Life :Public Planning and Private living ,Progress in planning(٥٨) ٢٠٠٢, ١٤٥.

- ٢٣- Jonathan Georgiou & Dr Peter Hancock, Quality of Life Indicators: The Objective-Subjective Interrelationship That Exists within One's 'Place of Residence' in Old Age ,Asian Social Science, Vol. ٥, No. ٩, ٢٠٠٩, p٥.
- ٢٤- Heinz-Herbert Noll, Ibid, p١١.
- ٢٥- Heinz-Herbert Noll, Social Indicators and Quality of Life Research: Background, Achievements and Current Trends, Published International Social Science Council, Paris, ٢٠٠٢, p٩
- ٢٦- Robert Costanza, et al, Quality of Life : an approach integrating Opportunities , Human Needs and Subjective Well-being , Ecological Economic, by ELSVER, ٢٠٠٧, p ٢٦٧
- ٢٧- Robert Costanza, et al, Ibid , p ٢٧١.
- ٢٨ - Pilar Escuder Mollón , Rosana Clemente Esteban, Raquel Flores Buils ogier Esteller Curto, Ibid, p٤.
- ٢٩- Robert Costanza, et al, Ibid , p ٢٩٦.
- ٣٠- Stephen M. Wheeler , Planning for Sustainability Creating livable, equitable, and ecological communities, published in the USA and Canada by Routledge ٢٠٠٤, p٢٥
- ٣١- U.S. Environmental Protection Agency, sustainability and the U.S.EPA, the National Academy of Sciences, ٢٠١١, p١.
- ٣٢- Brundtland , Report of the World Commission on Environment and Development: Our Common Future, UN General Assembly during its ٤٢nd Session in the fall of ١٩٨٧, p٤١.
- ٣٣- Stephen M. Wheeler, ٢٠٠٤, Ibid, p٦٢
- ٣٤- National Research Council, Ibid, p٣٠.
- ٣٥- International Society of City and Regional Planners (ISOCARP), Livable cities in a rapidly urbanizing world, Singapore, ٢٠١٠. p١١
- ٣٦- مجلس ابو ظبي للتخطيط العمراني ، استدامة ، ٢٠٠٨ ، ص١٢
- ٣٧- Soltani, A. and Sharifi, E., A Case Study of Sustainable Urban Planning Principles in Curitiba (Brazil) and Their Applicability in Shiraz (Iran), International Journal of Development and Sustainability, Vol. ١ No. ٢ , ٢٠١٢, p-p٥-٦
- ٣٨- PA Pienaar , MN Krynaww , AP Perold, Public Transport: Lessons to be learnt from Curitiba and Bogota, ٢٤ th Southern African Transport Conference, South Africa, ٢٠٠٥, p٣٧٢.
- ٣٩- Dowell Myers, Ibid, p١٠٩.
- ٤٠- Mariah VanZerr, Sam Seskin , Recommendations Memo Livability and Quality of Life Indicators, CH2M HILL, ٢٠١١, p٤.

- ٤١- Eline Chivot, Livability and Sustainability in Large urban regions, The Hague Centre for Strategic Studies, The Hague, ٢٠١١, p٢٣
- ٤٢- Sandhu, Sonia Chand; Naik Singru, Ramola; Bachmann, John; Vaideeswaran, Sankaran; Arnoux, Pierre. GrEEEn Solutions for Livable Cities Mandaluyong City, Philippines: Asian Development Bank, ٢٠١٦, p١.
- ٤٣- Stephen M. Wheeler, ٢٠٠١, Ibid, p١٥.
- ٤٤-Regional Planning and Metropolitan Growth Management ,Livability in Cascadia, Portland State University , ٢٠٠٩, p٤٠.
- ٤٥- Melanie Lowe, Carolyn Whitzman , Hannah Badland, Melanie, Davern, Dominique Hes, Lu Aye, Iain Butterworth, Billie Giles-Corti, Ibid, p١٣
- ٤٦- Meghan Z. Gough, Reconciling Livability and Sustainability: Conceptual and Practical Implications for Planning, Journal of Planning Education and Research ٢٠١٥, Vol. ٣٥(٢) p- p.١٤٧-١٤٨.
- ٤٧ -Meghan Z. Gough, Ibid, p-p١٤٩-١٥٠.